ليتني لم ألتقيك

أمال بن طراد

أمال بن طراد

ليتني لم ألتقيك

أبلج للنشر والتوزيع والترجمة
Abledj Publishing & Distribution & Translation
رواية

حقوق النسخ والتأليف© 2022 منشورات أبلج - الجزائر.
جميع الحقوق محفوظة©. لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من الكتاب سواء ورقيا أو إلكترونيا أو أية وسائل أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

Copyright © 2022 by Abledj Publishing.

المؤلف: أمال بن طراد.
عنوان الكتاب: ليتني لم ألتقيك.
التصفيف: مداني رمضاني.
الإشراف العام: عومار رشدي.

الطبعة الأولى: 2022.
ISBN : 978 - 9931 – 847 – 15 – 1
الإيداع القانوني: جانفي 2022.

حي حميروش حمدي – المحل رقم ب ة ولاية سكيكدة.
Tel : 0664075438 / E-mail :abledj00@gmail.com
Facebook: Abledj Publishing - أبلج
WhatsApp/Instagram:Abledj Publishing

(الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار.)

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الذي لولاهما لما وصلت الى ما أنا عليه: الوالدين الكريمين ..

كما أهدي هذا العمل الى أريج وأبيها..

وإلى من أراهم سندي وقدوتي الكاتب "محمد سهيل حسان" كان له الفضل في إتمامي لهذه الرواية بارك الله فيه وجزاه ألف خير، وإلى جميع صديقاتي كلٌ باسمها ..

لا أنسى أن اهدي هذا العمل لصاحب كتاب "لأنك الله" بارك الله في قلمك لا شلت أناملك إن شاء الله ..

الشكر لكل مَن شجعنيِ من أساتذة في كل مراحل تعليمي، ولكل ودعم موهبتي..

المقدمة

(وإن انطفأت روحك يوما أنرها، أنرها بقربك من خالقنا، وبر والديك، واختيار صحبة صادقة، جد نفسك في آيات الله لن تخيب).

"ربما حقاً ستكون هذه آخر كلماتٍ لي، وآخر مرة أرفع فيها قلمي، حتى ربما تكون آخر مرة أرتب فيها كلماتي وأمسك بها حبل أفكاري، نعم أمي.. نعم أبي وحتى صديقاتي، انتحرت .. ستتساءلون بالتأكيد لماذا انتَحَرَت وقد كانت دائمة الابتسام والضحك! وقد كانت الملجأ والأمان والابنة البارة والأخت العطوف! لماذا انتَحَرت؟!

الحقيقة أنني كنت أشعر ولوقت طويل أن رصيدي في الحياة على وشك الانتهاء، استنزفت صبري وطاقتي في التحمل حتى رأيت أنه ليس ليَ الحق أن أعيش معكم، لستُ جيدةً بما فيه الكفاية كي تحملني الأرض فوقها، لكن ربما أنا جيدة بطريقةٍ أحتاج فيها أن تضُمَّنيَ الأرض في أحشائها .. استنزفت أيضا محاولتي في إصلاح صلتي مع اللّه، فقد كنتُ كثيرة المعاصي، هجرت صلاتي، وقاطعت مصحفي.. وحتى سجادتي لم أرها منذ مدة، كنت كثيرة اللجوء إلى من خلقني وفي نفس الوقت كنت أعصيه .. أعده اني سأبادر بتوبة نصوح وأعود بنفسٍ خائبةٍ لتكرارها .. انا أشعر أن اللّه لم يعد يثِقُ بي!، سأُضيف أنِّي لم أكن يومًا مثاليَّةً، كنتم تسألونني لما انا منطويةٌ، ولماذا لا أقابلُ المجتمعَ، ولا أتعرّفُ على أصدقاءَ جُدُد!، لماذا لا أتواصلُ مع من في

عمري! أنا يا أمي ويا أبي اشعر أنِّي خطأٌ كبير.. ولم أتقبل نفسي يوماً.. فكيفَ سيتقبّلها غيري!، أنا يا أختي ويا صديقتي كنتُ كثيرةَ العيوبِ، وملَلْتُ حقًّا إخفاءها .. سامحوني لم استطع أن أُحبَّ نفسي .. لمْ أرَ يوماً أنّي أستحقُّ عائلةً أو أُختًا ولا أصدقاءَ حتّى، سامحوني لأنني كنتُ كثيرةَ البعدِ، قليلةَ الكلام، فأنا مع هذا لا أستحقّ! ، لا أستحقُّ حتى حب اللّه لي، فأنا سيئة، أراني كذلك، أنا سيِّئةٌ بالقدر الذي يجعلني لا أريدُ الحياةَ وما فيها، لا تبكوا أرجوكم، ولا تحزنوا أتوسَّل لكم.. فكلنا راحلون والحياةُ ليست لكلِّ البشر ... وداعاً."

أكملتُ رسالتي، ربما تبللت من كثرةِ دموعي، لو أنَ لي وقتًا إضافيًّا، لأعدتُ كتابة رسالتيَ المُنغمِسَةِ بالدَّمع، لكن، لابأس ستجف بعد مدةٍ وسينتهي بها المطاف في حاوية القمامة، أو ستُحرقها أمي كعادتها، فهي تُحرقُ جميعَ رسائلي .. وضَعتُ القلم من يدي، وفتَحتُ دُرجَ خِزانةِ أمي، لأبحث فيها عن دواءٍ أتناوله.. وجدتُ عُلبتين، لم أعرف لمن كانت، حتى أنَّني لم أُركِّز في اسمها.. ربَّما هي حبوبٌ لداء السكري، فأمي مريضةٌ به، لم أهتَمّ للأمر، حملتُ العُلبتين وتوجهت بهما نحو المطبخ، كنت فرِحةً في الحقيقةِ رغم حزني، فأنا سأُخلِّص

العالَمَ المُثقلِ بهمومهِ من نفسي .. شربت كل الحبوب التي كانت في العلبة.. لا أعلم تحديدا ما أشعر به سوى أن جسمي انخفضت حرارته، مع هذا فأنا اتعرق .. كنت بالرغم من أنني أعلم أن الانتحار أمرٌ محرّم إلا أنني فعلتُه، والمُضحك المُبكي أنني كنت أنتظرُ ان تفارق روحيَ الجميلة جسديَ البشع، وأردد في داخليَ الاستغفار الكثيرَ لهذا الأمرِ المحرّم، وبعد بِضع الوقت صرتُ لا أشعرُ بشيء، وغابَ وعْيي عن كل شيءٍ حولي، واعتقدتُ في داخلي أنّي وصلت أخيرًا لنهايتي، ولا أدري حقيقةً أكُنت سعيدةً أو حزينةً حينها!.

حواليْ الساعةِ الثالثة زوالاً، طرقتِ العائلةُ البابَ، فقد عادوا من حفلِ تخرُّجِ "أريج" وهي ابنة صديقة العائلة، فلم يجب أحد بالرغم من أن "دينا" بالمنزل (دينا هي بطلة القصة وهي من كانت ترويها لنا، لكنّها غائبةٌ الآن عن الوعي، فسأتولى عنها المهمّة لبعض الوقت وربّما كلّه!)، انزعج والدُ دينا فقد توالى طرقُ الباب ومع هذا لا مجيب، تحَوَّل الطرقُ للضرب وللخبطِ حتى كما يقول العامّة "ولا استجابة"، (والدُ دينا شخصٌ عصبيّ، زِد على ذلك أنّه انسان أمِّيٌّ)

في هذه الاثناء كانت الأم تبحث عن مفاتيح وسط حقيبتها المملوءة بالأشياء ..

- حمدًا لله، لقد وجدتُ المفتاح، هلّا توقَّفتم عن ضرب هذا الباب اللّعين، فقد ازعجتم الجيران.

- قالت ريمة أخت دينا : يبدو أنها خرجَت بدون أن تخبركم.

فتحوا الباب وصاروا يدخلون، بدايةً بالاب.. ثم الأم وتبعهم ريمة.

نادى الأب عن دينا لكنها لا تجيب، فصرخ قائلا:

- سوف أعاقبها وسوف أحرمها من مصاريف ش .. ش .. شششهر .دينااااار! دينار ابنتي!

قال هذا وهو متجه نحو ابنته التي كانت ممدة على أرضية المطبخ وهي غائبةٌ عن الوعي، أخد كأسَ الماء الذي شربت منه محاولًا تبليل وجه صغيرته بقطراتٍ منه، لينتبه فيما بعد الى عُلب الدواء، أيقَنَ حينها أنها شربت منه .. صُدِمت ريمة بهولِ الموقف، حتى أن دموعها صارت تنزل دونما أيّ تعابيرٍ أخرى غير تعابير

الصدمة، أما الأم فلم تقوى بعد على الوقوف، فجلست من خوفها على ابنتها كما بدا عليها الشُّحوب، يبدوا أن نسبةَ السكر قد ارتفعت لديها، لم تستفق دينا بالرغم من عديد المحاولات في ايقاظها، حتى أن أنفاسها كانت شبه منعدمة، لم يبقَ حلٌ سوى ان يحملها الأب ويتجه بها نحو السيارة بعد أن أوصى على عجَلٍ ابنتهُ ريمة بالاهتمام بأمها وأن تقيس لها نسبة السكري .. كان صوت الأبِ مرتفعًا وقد اختلطَ بنبرةِ الحزنِ والقلق والفزع، فتنبّهت ريمة للوضع، وباتت تعرف أنها مسؤولة عن أمها التي انهارت بفعل هذه الصدمة، ونتيجةً لارتفاع نسبة السكري، ريمة، الفتاة الفَطِنة والتي كانت اصغر من اختها دينا بعامين تحملُ الآن هذه المسؤولية، اتجهت مباشرةً للثلاجة وحملت حقنة الأنسولين، واستطاعت أن تعطي والدتها الحقنةَ في الوقت المناسب رغم عدم خبرتها في حقن هذا الدواء، مما أعاد العافية على وجه أمها، ليلحقوا بالأب مباشرةً بعدها ..

أما الأب فلم يكن حاله بعيدا عن حال الأم، جلس على الكرسي في قاعة الانتظار يرتجف خوفا على ابنته ويعاتب نفسه:

- يا ريت أخدتها معي للحفل، يا ريت ماتركتها لوحدها.. في هذه الاثناء يخرج الطبيب المكلف بعلاج دينا يتأمل قلق الأب عصام ورجفته الشديدة.

- الطبيب: يبدو أنك والد هذه المريضة، أنت خائفٌ على صحة ابنتك كما أرى، ما الذي جعلها تحاول الانتحار؟

ما إن سمع الأبُ صوت الطبيب، حتى قام مهرولًا إليه يسأله عن حال دينا؟

فأكمل الطبيب كلامه:

- لقد شربت دينا جرعةً كبيرةً من الأدوية، لقد قمنا بغسل أمعائها وقدمنا لها الإسعافات الأولية، وستتوجه الآن نحو غرفة الإنعاش حتى تستقر حالتها مع المراقبة الطبية !

الأب: دينا في تحسنٍ دكتور؟! أنا خائف على ابنتي، لا أشعر أن ابنتي تُسْحبُ مني نحو الموت، أنا أشعر أن دمي ينسحِبُ من جسمي، دكتور سأخبر زوجتي بأن تأتي لك بعلب الدواء التي وجدناها مرميةً بجانب ابنتي إن إحتجتموها!، لكن أرجوك لا تدع مكروهاً يصيبها فهي أغلى ما أملك..

- الطبيب: لا تخف هي في أمانتنا، لكن عليكم بالبحث عن سبب انتحارها، كي يتولّى أخصّائيٌّ نفسي متابعة حالةِ ابنتك، فنحن كأطباء مسؤولون فقط عن الأمراض الفيزيائية التي تصيب جسد المريض أما عن حالاتها النفسية فهي تحتاج لجلساتٍ عند طبيبٍ مختص، وأنا أنصحك بالطبيب "عابد سلام" وعيادته مقابلة لهذا المستشفى ...

استشاط الأب غضبًا وحزنًا في آنٍ واحد، وقال: يا دكتور هلّا راجعتَ حساباتك قليلا، فابنتي ليست مجنونة.. ابنتي بخير.. لطالما كانت هي نور البيت، وكانت ابتسامتُها مفتاحًا لصبرِنا، ابنتي عاقلةٌ لدرجة أننا نستشيرها في كل شيء، كيف لك أن تقول عن ابنتي مريضةٌ نفسياً.. ابنتي ليست مجنونةً يا دكتور!، تابع صراخه محركا وجهه لليمين واليسار كعلامةٍ على الانكار!، فابتسم الطبيب ووضع كفّه على كتف الأب عصام محاولا تهدئته، وقال: أنا لم أقل يا عم أن دينا مجنونة، لكن دينا مراهقة وهي تمر بحالات نفسيةٍ صعبة ويجب عليك أن تعرف ما هي الأسباب التي دفعتها لتنتحر، هنا سنصل لحلول تعالجها، وبهذا تتحسن حالتها، وأنا سأكلم الدكتور عابد للإشراف عن حالتها..

فدفع الأب عصام كتفة للوراء فسقطت يد الطبيب عن كتفه، وقال بغضب: لا دخل لك فيما تعانيه ابنتي من مشاكل نفسية.. انتبه لصحتها الفيزيائيةِ، كما أخبرتني ولا تتدخل فيما لا يعنيك، سأقف على حال ابنتي وحدي!

فتفاجأ الطبيبُ بإجابةِ الأب، ومع هذا ابتسم وقال: لابأس اسأل الله لها الشفاء العاجل، كما كنت قد أخبرتك فابنتك في أمانتنا لن يصيبها مكروه.

***

وصلت ريمة وأمها إلى المستشفى، فأخذت ريمة تسأل الممرضة عن الطابق والغرفة التي تنام فيها دينا حاليا، فأجابتها أنّها في الطابق الثاني - الغرفة 114- وهي تحت اشراف الدكتور وليد.

اتجهوا مباشرةً نحو الغرفة -114-، فوجدن عصام في حالةٍ ما بين الفزع والخوف والغضب، سألته هي وأمها عن حال دينا، فأخبرهم بكلام متلعثم عن حالها، حتى أنه لم يستطع صياغة جملةٍ

كاملةٍ يصف بها رأي الطبيب، فبقيت الأم في ذهولٍ وصمتٍ عجيب، فهي لم تفهم كحال الأب حالة دينا النفسية كان ذلك شيئًا بديهيًّا فالأب عصام والأم سلمى كانا من عائلةٍ فقيرةٍ، ولم يتلقَّيا مأ يكفي من التعليم، فهم يجهلون اخر الامراض وتأثيراتها، أما ريمة فقد فهمت مقصود الطبيب وليد، فحاولت أن تشرح للأب بمفهومٍ مبسَّط قول الطبيب، إلا أنه قاطعها، قائلًا: يعني أنك من ستعلمني كيف أعتني بابنتي و أنت مَن خلقتي مِن يومين. فاضطرت ريمة للصمت مرغمة، لعلها تشرح له في وقتٍ اخر عن حال دينا.

***

في الجهةِ الأخرى من الغرفة، دينا كانت مستلقيةً تحيط بها الأجهزة الطبية من كل جهة، هي لم تستيقظ بعد، فمرت الساعات والآن صارت أربعة أيام ودينا على نفس الحال، استغربت العائلة، فالطبيب وليد أخبرهم أن حالها في استقرار، مع هذا فابنتهم لا تستجيب..

حاولت الأم أن تستفسر من الممرضة حنان عن حال ابنتها، فأجابتها بأن الأطباء يقدمون لها دواءًا مهدئا يجعلها تنام حتى تستقر حالتها أكثر وتتعافى، فاختفت تراكمات الحزن من وجه الأم سلمى وظهرت ابتسامةٌ دافئة مع عيونٍ دامعة تنظر بها لجسد ابنتها الهزيل وكأنها تود أن تحضنها بعينيها ..

بعد ظهر هذا اليوم استطاعت دينا أن تستفيق، كانت تفتح عينيها ببطيء شديد ثم تعودُ لتغلقهما، وكأنها كانت تحاول أن تستوعب أين هي! من معها!، تحاول أن تسترجِع ذكرياتها.. وفجأةً ساءت حالتها كثيرًا فأصابتها نوبةٌ هَلَعٍ شديدةٍ، كانت تبكي بشدَّةٍ وتصرخُ وتنتفضُ فوق السرير، يبدو أنها أدركت كلَّ شيءٍ، أسرَعَ إليها وليد والممرضةُ حنان، فحاولا تهدئتها، بينما كانت العائلة تنظر بحيرةٍ وقلقٍ على ابنتهم ويتلونَ آيات القرآن والدعاء، لعل حالها يتحسن ..

هدأت دينا مع محاولات الطبيب وليد في اعطاءها المسكن، ثوانٍ وعادت دينا لفتح عينيها من جديد، تفتح عينيها، فتتأملُ وجه أبيها وأمها، ثم ترفع عينيها باكية نحو سقفِ الغرفة، تقد عصام و قبَّل جبينَ ابنته ومسح دموعها، بينما استمرَّت الأمُّ في مسك يديها

وتقبيلهما وتلاوة آيات القرآن، أخذ المسكن مفعولة على ما يبدو ورجعت دينا لنومها، كانت ريمة تتأمّل شحوب وجه أختها الكبرى، الذي بدا عليه التعب وكأن حروب العالم قد اندلعت عليه، وليد بقي يراقب حالة العائلة متساءلا في نفسه ما الذي دفع فتاة في الثامنة عشرة من العمر أن تنتحر بالرغم من حب عائلتها لها وخوفهم الشديد عليها والذي يُظهرُ كمَّ الحُب الذي يكنونه لها، ليس ذلك بالأمر الغريب، فدينا كانت ابنتهم الأولى على ما يبدو، عجيب أمر هذه الفتاة!

خرج الطبيب من الغرفة محدِّثا والد دينا، يا عم عليكم أن تتركوها ترتاح بعد أن يزول مفعول المسكن وتستريح، ويمكنكم رؤيتها في الغد، كما أنكم تحتاجون إلى الراحة أيضًا، عودوا إلى منزلكم، وحالما تستفيق دينا، سأكلمك على الهاتف يا عم، فأشارت أم دينا بالموافقة لزوجها، فابنتهم ريمة قد ظهر عليها التعب هي الأخرى، عادت العائلةُ إلى البيت، واتجهت ريمة نحو غرفتها لترتاح، بينما الأب قرر أن يستحم ويصلي ركعتين يدعو فيهم الله لإنقاذ ابنته، كانت الأم تفتح شبابيك البيت، ثم دخلت لغرفتها وشرعت في فتْح الشباك

وترتيب السرير، لتنتبه للرسالة التي تركتها دينا، فأخذت الورقةَ بين يديها تتأملها، انه خَطُّ دينا، لكنّي لا أعرف القراءة فاتجهت إلى زوجها مسرعةً، عصام، عصام، أنظر ما المكتوب في الورقة أظن أن الورقةَ تخصُّ ابنتنا دينا، فاصفر وجه عصام وأخد الورقة بين يديه ثم اتجه نحو ريمة يوقظها كي تقرأ لهم رسالة دينا، لم تنم ريمة بعد، فقد فشلت كل محاولاتها في إسدال جفنيها وتسليم نفسها لنوم عميق.

أخبرها أبوها عن الرسالة وطلب منها أن تقرأ ما فيها لعل الأمر مهم، فأمسكتها وبدأت القراءة، بسم اللّه الرحمن الرحيم.. "ربما حقا ستكون اخر كلماتٍ لي.. واخر مرة ارفع فيها قلمي.. كان يسمع الأب عصام الكلمات بحرقةٍ كبيرةٍ، ثم انفجروا باكين على حال ابنتهمُ المسكينة، ساعاتٍ قلائل تبقّت حتى يطلع الصباح ويذهبوا إلى المستشفى، فهم يشعرون أن البيت سجنًا دونها ..

في هذه الأثناء استفاقت دينا، كان بجانبها الدكتور وليد، كان يتأمل استفاقتها وحركاتها اللطيفة والهادئة، ثم أنها تبدو منهكةً وصحتها سيئة، لكن أراد تقويَتها وكسْر الجليدِ معها، فقال لها ممازحًا: أنت تشبهين القطط، تشبهين قطتي روزي، فابتسمت دينا ابتسامةً،

أستطيع وصفها بالمتْعَبة فهي بالكاد تستطيعُ تحريكَ شفتيها، ومع محاولاتٍ عديدةٍ منها للتكلُّم، استطاعت أن تسأله عن عائلتها، فأخبرها الدكتور وليد انه طلب منهم في مساء هذا اليوم أن يستريحوا، فهم لم يرحلوا من المستشفى حتى طمأنتهم عن حالك ووعدتهم أن أتصل بهم حالما تستفيقي، لكن الوقت متأخرٌ الآن، سأتصل بالعم عصام في الصباح ان شاء اللّٰه، ثم أردَف قائلا: لكِ عائلة محبة ودافئة، لم يستطيعوا في الأربعة أيامٍ السابقة أن يناموا ولا حتى أن يأكلوا، كلّ ما أرادوه أن تتحسن حالتك، لماذا أردت الانتحار يا حُلوتي؟

احمر وجه دينا وغلَب عليها الاسى والحزن، فأكمل وليد كلامه، أنت فتاةٌ صغيرة، لم ترَ من نور الحياةِ شيئًا ، إن كنتِ قد حاولتِ الانتحار من أجل الحب يا صغيرتي، فأنتِ غبية، هل تظنين أنه سيحبك بمجرد أن تموتي؟!، مُخطئةٌ يا عزيزتي، فقاطعته دينا بصوتٍ حزين يحمل التعب والأسى في طياته، لا يا دكتور ليس الحب، فأنا بعيدةٌ عن هذه العلاقات كلِّها، ثم إن لي أسبابي التي دفعتني لذلك، ولا أحب تذكّرها، ولا الحديث عنها، ولهذا أرجوك، تقبُل أسفي

يا دكتور، فهذا الأمر صعب عليّ جدا، يكفي أنَّه دفعني لإنهاء حياتي، ثم بكت بحرقةٍ، وكانت تضع يديها على قلبها، وتقول: يا ليتني مِتُّ، ويا ليت الأمر انتهى هناك، لكُنْت الآن عند خالقي، لعلّه يجبر خاطري، وبالرغم من أنني أعلم أن الانتحار حرام، إلا أن ربي يعلم أسبابي ويعلم أنه لا حيلة لي ولم أقوى بعد على نفسي، ليتني لا أرى دموع أهلي غدًا، وليتهم يسامحوني على التعب الذي سببته لهم، ثمّ أخفضت رأسها المثقلِ بأحزانه وهمومه، وظلت تمسح دموعها بيديها، أما وليد فقد دُهش من كلامها وعجز عن نطق جملة واحدة يحسن بها حالها، كان يبحث عن آلاف الكلمات ويريد ترتيبها، لكنه لم يستطع، لم يسعه غير قول لا حول ولا قوة الا باللّٰه، أنا هنا، لا أريدك أن تعتبريني طبيبك ولا شخصًا غريبا عنكِ، فأنتِ بعمر أختي الصغرى، إن احتجتِ للكلام، فأنا هنا في الخدمة، ولربما نجد حلولا لكِ.

خجلت دينا من نطق أسبابها، كيف ستقول أسبابًا كهذه لغريب ؟، كيف ستقول له كيف؟، لم تنم دينا تلك الليلة، لم تفارقِ الدموع التي رأتها بعيون أبيها، كذلك الغصة التي ظهرت بوضوح في

وجه أمها، وحتى الخوف الذي انتاب ريمة من بالها، كانت تعاتب نفسها قائلة لقد آذيت عائلتي معي، اعتقدت أنني سأخلصهم مني وسينتهي كل شيءٍ عند موتي، و لن يضطر أبي للعمل ليل نهار لتسديد فواتير دراستي وألبستي، ولن تبقى أمي في حالة خوفٍ كلما خرجت للدراسة فهي دائمة القلق عليّ، ولطالما أوصتني أن أبتعد عن البشر فَهُم مؤذون، لن تضطر ريمة هي الأخرى أن تخاصمني من أجل الحقيبة البنية، كان كل شيءٍ لينتهي، والوقت كفيلٌ بمسح اثري، لكن لم يحدث شيء مما توقعت، سوى أنّي آذيتهم بنفس الألم، نعم نفسُ الألم، نفس الدموع، لم يحدث شيء سوى أني رأيت فيهم الضعف والانكسار، حقّا، كان طبيبي على حق، فلدي عائلة دافئة، كان لابد أن أداوي جراحي بها، لكنّي أضعتُ كل شيء، فلن يعتقد أبي بعد هذا اليوم أنّي فتاة عاقلة، ولن تتركني أمي مجددا خوفا عليّ من تكرار فعلتي، وحتى ريمة ستقدم كل شيء تملكه في سبيل إرضائي ولكن ليس هذا ما أريد.

ظلت دينا تعاتب نفسها حتى نامت، لم تشعر حتى كيف غفت عيناها الجميلتان.

استيقظت بعد نوم عميق عند حوالي الساعة السابعة صباحا، كانت تُتمتم بصوتٍ منخفض بعضًا من الأحاديث النبوية، دينا لا تترك اذكار الصباح والمساء أبدًا، فهي تؤمن ورغم المعاصي، أن قراءتها للأذكار تجعلها في ذمّة ربها طيلة اليوم، فلا يصيبها مكروه ولا يبكيها قدر، ورغم ما تعانيه فإنها تُرجع كل تلك الآلام الى نفسها.

دخلت عليها الممرضة حنان، وسألتها: ما الذي يشغل بالك يا دينا؟، هل تحتاجين لشيء؟، فنظرت اليها دينا بلطفٍ شديد وقالت: نعم لو سمحتي، هل تستطيعين فتح النّافذة إذا سمحتي، أريد أن أشتَمّ نسمات الصباح .. أشارت حنان برأسها، وقالت:

- أنا أيضا أحب نسمة الهواء في الصباح.

فتحت حنان الشباك ثم جلست بجانب دينا وسألتها: ألا تشعرين بألم في جسمكِ يا دينا؟، اعلم أنكِ لازلتِ متعبة، لكن أنتِ تتحسنين وستفارقيننا قريباً.

- نعم أنا في تحسن، الشكر لكم لاهتمامكم بي.

- دينا عديني أن لا تعيدي الكَرّة، عليكِ أن تتمسكي بحياتك، في العادة أنا لا أتعاطف مع المنتحرين، لكن بكِ شيءٌ مختلفٌ عن البقية..

فقاطعتها دينا: لماذا لا تتعاطفين معهم؟

- حسنًا، انتبهي معي، سأجيبك لماذا!، أنا والطبيب وليد وبقيةِ الأطباء، نواجه يوميا العديد من المرضى والعديد من الحالات حتى المستعصية منها، أرى يوميا عددًا من المنتحرين، كما ارى عددًا من الأشخاص المتشبثين بالحياة رغم مَساوئها، أنا لا أنكر يا دينا أن الإنسان يواجه مشاكل تدفعه للانتحار، لكن العاقل لا يعصي أمر ربه.

- من هم الأشخاص الذين يتشبثون بالحياة!، أظن أن لهم حياة جميلة لكن الأقدار تسرقها منهم.

- لا يا عزيزتي، حياتهم صعبةٌ جدا، لكن مع هذا، فهم أقوياء ولديهم من الطموحات ما قد يحرك الجبال من أماكنها، لوهلةٍ يجعلونكِ تعتقدين أنهم في صراعٍ كبيرٍ مع ملك الموت، هو يسحب أرواحهم وهم يعيدونها ..

ضحكت دينا ثم قالت:

- حنان هل لي ان أسئلك عن امرٍ ما؟

- نعم، بكل تأكيد.

- في هذه الفترة من زارني؟

- والديك وأختك لم يفارقوك، كما زارتكِ فتاة في مثل عمرك أظن أنها صديقتك!

- ألم تعرفِ اسمها!

- أظن إن لم تخدعني ذاكرتي أن اسمها ميليسا، سمعتها تتكلم بالهاتف فأجابت بنعم أنا هي ميليسا.

ما إن سمعت دينا الاسم حتى شردت، أشارت حنان بيدها ما بك يا دينا؟!

انتبهت دينا لإشارة حنان فاعتدلت في جلستها، ثم أردفت قائلة:

- كيف بدت ميليسا عند زيارتي!!

كانت قلقة عليكِ كثيرًا كثيرًا، كانت تمسح بيديها على شعرك، ثم تتحسس درجة حرارتك، وكانت تسأل الطبيب وليد عن حالتك ألف مرة في الدقيقة.

فتفاجئت دينا بكلام حنان كثيرا، وأخبرتها دينا أن ميليسا هي صديقتها في المرحلة الإعدادية، وأنهما تفارقا منذ ثلاث سنوات نتيجة سوء تفاهم وقع بينهما ، ولديّ عدة صديقات تعرفت عليهن بعدها، مع هذا لم تزرني أيّ منهن!.

أجابت حنان وهي تمسح بيديها على شعر دينا:

- ليس كل شخص يقربنا يستحق أن نسميه صديقًا، فالصديق الحقيقي لا يدعكَ تغرق وحدك، لا يترُكُكَ أبدا، ووقت تفلت منك نفسك فتسقط لأسفل القاع، تجده مُمسكًا بك بكلتا يديه، الصديق الحقيقي يا دينا هو من يجعل من ألمك أملًا، ومن ضعفكِ قوةً، ومن عاصفتك شمسا ساطعة، كان كلام حنان قد مس صميم دينا، كما فتح جروحا عميقة.

اتجهت حنان بعدها لعملها وتركت دينا في شرودها وتفكيرها..

كانت حنان تخرج، كنت أستشعر خطواتها وكأنها تطرق على قلبي، كلماتها كانت كصفعة قوية تلقيتها وأفاقتني من سبات مئة عام مضت، ماذا كنت أفعل؟، أو ما الذي فعلته بنفسي وبعائلتي، لماذا وكيف فعلت هذا؟، وبأي حقٍّ فعلته؟.. فقررتُ بعد تفكيرٍ عميق أن

أتغير، سأصمم على أن أتجاوز هذه المرحلة، كم كنت حمقاء عندما حاولت قتل نفسي بدون سببٍ أستطيع ذكره حتّى!، فقاطعني دخول الطبيب وليد عن تفكيري، كان قد دخل وليد ليخبرني بأنني تماثلت للشفاء، وبإمكاني العودة مع أهلي، ثم رأى في عينيّ بريقا وشجاعة ازاحت الخوف واليأس من وجهي، سألني عن سبب هذه القوة المفاجئة، فرددت عليه بسؤال آخر:

- هل تستطيع أن تقدمني لمختص نفسي يمكنه أن يساعدني في بناء جسر ثقة ومصالحةٍ مع نفسي ؟!

فابتسم وليد قائلا:

- نعم، لقد فتحت هذا الموضوع مع والدك في الأيام السابقة لكنه رفض، لكنني سأعرضك على الطبيب "عابد سلام" صديقي دون علم والدكِ فقط ليعرف اذا ما كانت حالتك خطيرة أم مجرد فترة سيئة، ابستمت دينا بخجلٍ، وتابع حديثه، فقال: وانا أثق بأنه أهل لهذه المهمة كما أنه بارع جدا في تشخيص المشاكل النفسية ومتابعتها ..

- حسنا ، أشكرك، أنا ممتنة لصنيعك، ولِمُساعِدتك حنان، قدمتم كل ما في وسعكم لإنقاذي، كما أنني أعدكم أن لا أكرر فعلتي، سأصبح أقوى وأشجع من أن أقتل نفسي "عمايل الجُبن سأتركها'.

- جميل يا دينا أحسنتِ طفلتيَ الجميلة، ستتجاوزين الأمر، لا تفشلي .

- مع الله، لا خوف، لا فشل، لا جبن، ولا ألم، فبالقرب من الله كل أمرٍ يُزهِر ..

دخل الوالدان على دينا، ملامح وجهها الراضية الشجاعة، التي يقرؤها حتى الإنسان الأميّ، قد ألقت الطمأنينة في أعماق قلوبهم..

- أبي أمي، ريمة اقتربوا!

أردفت قائلة: أنا أعلم كمَّ الخوف والأسى الذي سببته لكم ، لن أرمي خطئي على الشيطان اللعين أو على ظروفٍ قاسية، ولا شيء يبرر فعلي، ولكنني ماكنت أقربه لولا أن ضعفًا أحاط قلبي، ولكنني استفقت من بعثرة افكاري وعزمت على استرداد إشراقةٍ لقلبي لن تزول بإذن الله.

الأم سلمى موجهة نظراتها اللطيفة لعصام، قالت: أنظر يا عصام، دينا العاقلة قد أشرقت من جديد..

فقال الأب بصوتٍ فيه حنان الكون: لا تنطفئي يا صغيرتي ولا تيأسي، فكلنا معكِ.

ثم صوّب نظراته وقد انهك الحزن ملامح وجهه نحو الطبيب وليد قائلاً: أنا آسف يا بني على تلك النبرة التي كلمتك بها، كنت قد قرأت رسالة تركتها دينا قبل ان تفعل فعلتها السيئة، هذه الرسالة أحرقت قلب هذا العجوز الواقف أمامك وكانت كصفعة نبهتني من أخطائي وجهلي، كانت ابنتي تسحب مني وانا مغمض العينين، ثم أخرج من جيبه رسالة دينا وأعطاها لوليد.

خجلت دينا كثيرا آنذاك..

- بعد ما قرأ وليد الرسالة، اتجه نحو دينا معاتبا لها: أنتِ غبية يا صغيرة، لكي جمال لا تملكه كل فاتنات الأرض وجمال داخلي تفتقره نصف فتيات الكون ، وأكرمكِ الله بقلب حي يوقظك عند كل ذنب ورزقك توبة بعد كل فعل، بذل أن تشكريه..تجحدين لو فعلتي هذا مجددا سأقتلك بنفسي بجرعة من أدويتي وأدخل السجن وانا سعيد..

- الأب عصام: يا دكتور هل تستطيع أن تعطيني رقم الطبيب عبدو سلامة!

- (وليد ضاحكا) اسمه عابد سلام ولو أنه سمع هذا الاسم الجديد لجنَّ ولأصبحنا نبحث له عن طبيب نفسي هو الآخر.. (ضحك الجميع).

أردف كلامه قائلاً:

- يا عم عصام دينا قد تماثلت للشفاء وبإمكانك إرجاعها معك للبيت الليلة، مع هذا فلها موعد معي بعد ثلاثة ايام لأخد بعض التحاليل الجديدة ..

- سيكون هذا يا ابني..

عادت دينا لبيتها بين احضان والديها وفرحة اختها ريمة.. استأذنتهم في مجلسهم فهي تحتاج لراحة، ولكنها لم ترد النوم فقد قصدت بالراحة ان تختلي بخالقها تطلب عفوا واستغفارا. وتوجهت نحو الحوض توضأت واتجهت لغرفتها كانت تبحث عن سجادتها وحجابها، أينما وجدتهم بدأت بتقبيلهم والبكاء..

- سامحوني، أهملتكم.. أضعتكم وأضعت نفسي بعيدا عن رب الرحمة هل تغفر لي يا الله.. هل ستشهد هذه السجادة على حرقة قلبي ودموعي الساخنة..

مسحت دموعها وأقامت صلاتها ومع كل سجدة كانت تشحن بإيجابية الكون وسكون الليل وثبات النجوم.. كانت تودع كل حزن ويأس مع كل خطوة تقترب فيها من خالق أبدع في تخفيف أحزاننا، سبحانك إلا هنا ولو شكرناك طول حياتنا ما رددنا فضلك علينا..

ثم ختمت خلوتها بالصلاة على نبينا الحنيف عليه صلوات الله وسلامه.

ثم انهيت صلاتي، كنت أرتجف فشريط حياتي كان يمر بسرعة أمامي.. الأمر مخيف، أراني الآن عاجزة في المواجهة وحدي لكن لابد من أن أواجه نفسي واخلصها من هذا الضعف والهوان..

كنت أبحث عن ورق وقلم، فأنا كعادتي كلما ضاقت بي الحياة أترجم آلامي على الورق، أنا لا أستطيع ان أبتعد عن الكتابة مؤلم جدا عندما لا تجد من تحكي له عن غصاتك، فتترجم أفكارك بخط يدك لا بصوتك.. أنا الآن اخط آلامي وأُخِيطُها.. أنا الآن أستطيع أن أسمع

صوت حروفي.. وأشعر بجراح ألف عام تُفتَح.. لا علينا ستكون هذه المرة الأخيرة، ليست لأيام حياتي وإنما لجميع آلامي..

بدأت بعد بسم اللّه بكتابة اسمي "دينا" أنا أحب اسمي لهذا سأجد القوة فيه.. سأقوم بهذا على طريقة كتاب لأنك الله ذلك الكتاب العظيم الذي لا ينفك يزهر قلوب التائبين الأوابين، لهذا سأجمع قوتي على طريقته، هذا اسمي دينا قَسمته هكذا:

- ‹د›: دوري ، ‹ي›: يقين ، ‹ن›: نور ، ‹ا›: الأمل.

سأترجم هذه الحروف الآن إلى هذه الكلمات الأربع والأقرب لما أشعر به وما أريده..

الدال: ‹دور› خلقني الله لأعبده، لأنفذ كل أوامره وأنتهي عن فعل ما حرم اللّه وهو ما يسمى بالطاعة، فالحياة لا تساوي جناح بعوضة، خلقني اللّه لأشكره في السراء والضراء وأن أصبر على كل ابتلاء.

كنت أكتب كل الأوامر والنواهي والمحرمات ودمع عيني يسقط.. أرى نفسي قد هجرت الأوامر والفروض وتقربت من النواهي والمحرمات وأسال لِما أنا تعيسة؟! سأُكمل..

الياء: ‹يقين› سأصلح نفسي لم أعبد الله حق عبادته.. أدّعي الصبر وكلّي عتاب واعتراض.. لم تصل روحي البريئة يوما لدرجة اليقين، وأي براءة أتكلم عنها وأنا التي أجرمت بحق نفسي وابتعدت عن ربي، كان عليَّ أن اتيقن بأن من خلقني سيُرزقني ولن يقتصر رزقه على المال والمأكل بل سيشمل العباد أيضا، سأعتبرهم بمثابة العوض لي..

منذ اليوم ستتجاوز ثقتي فيه عنان السماء، وسترتقي هذه الثقة لمرتبة اليقين، لن أخشى الحزن والهم بعد الآن، لأن لي رباً سيتوكل بكل ما يؤذيني.. ثم إنني إن اتبعت هذا الطريق كنت لأصل لا محالة نحو الحرف الثالث من اسمي ألا وهو النون ترجمته ‹النور› كان لينير الله طريقي ويخلق من ظلمتي شمسا تحمل عنوانا للمعجزات.. فالله وبالرغم من المعاصي يحمينا ويسترنا ويرزقنا ويغفر لنا اذا ما استغفرنا ويفرح بقربنا اذا ما تقدمنا نحوه بخطوة فماذا إن كنّا أصلا بقربه وبحضرته، لكانت كل الأشياء من حولنا تنير فهو مُنير الأرض والسماء وما بينهما وأكبر دليل حيث، قال في كتابه في سورة النور الآية 35: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن

شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (35)

وهو الذي قال ايضا في سورة المائدة في الآية 15-16 { وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ } . صدقت ربي..

- كيف لا أشرق وأنا بقرب خالقي كيف هذا!

وبعد كل هذا، سأصل لآخر حرف من اسمي ألا وهو الألف، وترجَمتُه الأمل، كمصطلحٍ مُعاكسٍ لليأس الذي استحوذ عليَّ قلبا وقالبا ذات يوم، فأنا كنت كغيري، أحتاج لمن يزرع فيِّ هذا الأمل، لكنِ الآن، أنا لا أريدُ أن يكون هناك من يزرع هذه البذرة في داخلي، لأنني وببساطة أنا من سأقدِّمه لنفسي كهديَّةٍ وقربان على هذه التضحية، ولهذا لن أتكاسل في الحصول عليه أو صنعه اذا ما اشتد الأمر، كترياقٍ لحياتيَ التي آمل أن لا تكون بحاجةٍ لترياق أتخذتُ أول تحفيزٍ لي، فقط من اسمي، ولهذا وجب أن أتقدم نحو خطوة ثانية، وهي

محاولة إصلاح ما أتلفته في نفسي بنفسي، فماذا عن شكلي؟!، ما الذي يُعِيبُه؟!، أهوَ شعري الخفيف؟، أَمْ عيوني الذابلة؟، ربما جسدي الهزيل والضعيف!، أو هي تلك الآثار التي طبعتها قساوة الأيام على جسدي، ألا يجدُرُ بي أن أبحث مع نفسي وبنفسي كل هذا التعب النفسيّ الذي أعاني منه، ألا أستطيع أن أقول أن ملامح وجوهنا هي ترجمةٌ لما تشعر به قلوبنا، وما ذنبي إن شاخ قلبي قبل أن يذوق ريعان شبابه؟ أَلِهذا الحد أوجعه الحزن؟، ألهذا الحد أقضَّ مضجعه الألم؟، هذا الحزن والألم اللذان لم أجد لهما حتى الآن سببًا!

ولعل كل هذا يتمّ إصلاحه، بمحاولةٍ مني لترميم ما تفتتَ مني، وزرع زهور الغارديا التي ستجمع بجذورها شرايين قلبيَ المحزون وتحييه، وربما لو اقتربت من ربي لأنار وجهي وأشرقت عيناي، كشمسٍ في أول أيام أبريل. إذا لأجل ماذا أردت قتل نفسي، أو بتعريفٍ آخر هو أن أنتحر، ألأجل أسرتي!، لكنِّي بفعلي هذا، رأيت فيهم الضعف والألم والانكسار، وآذيتهم ليس إلا، اذًا من أجل ماذا فعلت، هل من أجل صديقاتي؟ لكنهم لم يأتوا لرؤيتي ولم يسألوا عن حالي حتى!، ألأجل الثقة التي كسرتها مع خالقي؟!، هل كان سيغفر ليَ انتحاري..

هل أخذت عهدًا من اللّه يضمن لي أنه سيغفر لي؟، كيف هذا، وهو الذي يجازي الصابرين!، وهو الذي قال فيهم: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وقال أيضا: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، ولم يقل انتحروا بل قال: ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ن ولا تيأسوا من روح ن إنه لا ييأس من روح اللهن إلا القوم الكافرون﴾، وكذلك قال: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن اللّه كان بكم رحيما﴾.

مع هذا حمّلتُ نفسي ثقل السماوات والأرض وأنا بهذا العمر الصغير، ألم يجدر بي أن أعيش راضية قانعة بما رزقني اللّه، بل وأشكره على ما فضلني به عن العالمين؟! أوَلم يكن من الأجدر أن أتقبل نقائصي وأتأمل أكثر بما يحيط بي من نِعَمْ وأحمَد الله عليها دائمًا ..

قررت وبعد هذا أن أُشرق، أن أتوهَّج، أن أعيش مثل عُصفورٍ طليق، لا مثل غرابٍ أسير، لابدّ أن تكون هذه أول مصالحةٍ لي مع

نفسي، سأسير بخطواتٍ نحو التغيير نحو إشراقة لا تنطفئ، الآن كلّي قوةٌ ويقين بتغلبي على هذا الضعف الغير المبرر.

في الصباح اتجهت دينا مع أبيها نحو عيادة الدكتور عابد، وعند دخولهم طلَبت منهم مساعدته اسم المريض!

- ابنتي هي من ستُعالج.. اسمها دينا سهيل.

نظرت المساعدة بثباتٍ في وجه دينا، ثم قالت: أنتم مَن تكلّم عنهم الطبيب وليد اذًا، سأخبر الدكتور عابد فورًا.. فغادَرتهُم واتجهت نحو غرفة الطبيب، وماهي إلا ثانية واحدة من دخولها للغرفة حتى فتحت الباب مناديةً الأب عصام وابنته، وحال وصولهم أمام باب الغرفة، وجدوا الطبيب عابد قد سبقهم لمنتصف طريقهم مسلما على العم عصام وقدم التحية لدينا، وأخبرهم أنه قد عرف من وليد كل ما يخص دينا من الرسالة وحتى الساعة التي تماثلت فيها للشفاء، ثم قال مازِحًا: أخبرني أيضًا عن خوف العمّ عصام، وعن إيداعي كنزيلٍ في المصحّة النفسيّة، بعد أن كنت طبيبًا مُعالِجًا!، لا بأس، سنعالج هذه الأمور لاحقًا، ههه..

ثم قال: إن لم تُمانعوا، فستبدأ الحصة العلاجية اليوم، وإن اردتم تأجيلها، فلا مانع لديّ

- لا لا ، إبدأ الآن! سأنتظر هنا..

- سأستأذن صغيرتي، أتوافقين أن يبقى معكِ أحدٌ يا حلوتي؟

أجابت دينا على مضض نعم ، خشت أن يحزن أبيها إن رفضت..

- حسنًا يا عم، سأتابع هذه الحالة الملازمة لنفسية دينا.

- أثق في الطبيب وليد، ومادام وليد يثق فيك فأنت ابني وأهلٌ لثقتي.

سُعِد عابد بكلامه واتجه نحو المكتب رفقة دينا، أرشدها لمكان جلوسها وأمسك دفتره وقلمه، ثم طلب من دينا أن تقوم بعملية التنفس، بحيث تقوم لثواني بالشهيق والزفير، لتُتبِعه بعد ذلك بزفيرٍ فقط مع إلمام شفتيها وكأنها تُخرِج مع هذا الزفير كل خوفٍ وتوترٍ وحزن.

قامت دينا بهذا ونجحت، ثم سألها عابد عن اسمها وعمرها وهوايتها، كمحاولةٍ منه لتبديد الخوف وازالة الخجل من مريضته الجديدة.

- اسمي دينا سهيل وعمري ثمان عشرة سنة، ولا امتلك موهبةً ولا هوايةً حتّى

- لكنني قرأت رسالتك، يبدو أنك بارعة في الكتابة، ألا تجدين أنّها موهبة؟

- ربّما ، لطالما أخبرتني أستاذتي أنني أتمتع بأسلوبٍ جميلٍ في الكتابة، مع هذا فهي مجرد مجاملة.

- ولماذا تعتقدين أنها مجاملة؟ ولا ترين أنها موهبة!

- لأن الأشخاص الموهوبين خارقين للطبيعة، هم أفراد فاقوا الأفرادَ العاديّين!

- أنت مخطئة يا دينا، لكل شخصٍ موهبة، لكن يوجد من اكتشفها وصقلها، ويوجد من تركَها وتجاهلها ، ويوجد من لم يبحث عنها أصلًا، وسنتطرق لهذا الأمر في جلسات خرى من العلاج، وحسب تقييمي الأوليّ، فحالتك تشابه حالات مرضى سابقين عالجتهم، وبفضل الله

وتعاونهم قد أصبحوا في تمام الصحّة النفسيّة، فهل تضعين يدك ونعالج هذه الحالة ونتخلص من هذه المشكلة؟

- نعم، أنا جاهزة ومستعدة جدا أريد أن أصنع دينا جديدة، تشرق مثل الشمس، تُزهر مثل الورد!

- جميل كلامك يا مبدعتي الصّغيرة، لنبدأ اذًا، هل تستطيعين ان تعرفيني عليك أكثر يا دينا؟!

- كيف سأبدأ! اممم أنا اسمي دينا أبلغ من العمر ثمانية عشر عاما.. أدرس في الثانوية شعبتي أداب وفلسفة، أحب اللغات كثيرا، لكنّي أواجه مشاكل في نطق حروفٍ مختلفة، أحب الكتابةَ والشعر، والتأمل في اعجاز القرآن.

- ما هو مستواك الدراسي يا دينا؟! ماهي العلامات التي تتحصلين عليها؟!

- سبق وأن اخبرتك انا بالثانوية، كانت جُلُّ علاماتي جيدة، غالبا ما أكون من الأوائل في الصف.

- جميل جدا، إذًا، فأنتِ مجتهدة.. احببت هذا، هل يدعمك والديكِ بالجوائز كتشجيع على اجتهادك، أم تراهما مثل جدّتي، تهديني مجرّد كلماتٍ، لا تُسمن ولا تُغني من جوع؟!

- يكافئوني بالجوائزِ احيانا ..

- من هو داعمك الأول يا دينا، أبوك أم هي أمك؟!

- كلاهما.

- لا تخافِ يا دينا، أنا لن اخبرهم إن اخبرتني، فهذا سِرنا الصغير ههه

فضحكا وضحك عصامٌ معهما..

- هههههه، لست خائفة يا دكتور، وجدت الدعم في أبي وأمي، فلم يبخلا عليَّ في شيءٍ مهما كان، كلٌ على طريقته يدعمني.

فتبسم الأب عصام بكل فخر..

- سأسألك وأجيبيني بصراحة!، هل يقارنونك بمن هم في عمرك؟

فسكتت دينا عن الكلام وكأنها تفكر أو يبدو انها تسترجع ذكريات قديمة، فدَوّن عابد كل هذا على دفتره، ثم أعاد السؤال للمرة الثانية على مسامعها!

فلم تستطع هذه المرة كْبحَ مشاعرها او ذكرياتها التي اختزلتها على شكل دمعتين، تبدوَان وكأنهما من الماس ..

- نعم، لطالما قارنتني أمي بمن هم في عمري ومن يحيط بي من أقارب وجيران.

- وهل ترين أن هذا مزعج يا دينا!

- كثيرا، أنا لا أغار من أحد، لكن المقارنة تجعلني أشعر بالنقص.

- أترين أن من يحيط بك من أقارب وجيران وصديقات أفضل منك؟

- أحيانا أرى هذا.. أتألم كثيرا، وأحيانا لا..

- إذا بررنا قولك الأول، كيف تستطيعين تبرير قولك الثاني؟!

- سأشرح لك، أحيانا أراهم أفضل مني، فأتألم، وذلك لكونهم يمتلكون نِعم ومواهب أكثر مني، وأحيانا أكون غير مُدْرِكةٍ لِكمّ النعم التي تحيط بي، فأتحسّر، وأتألّم..

- هل تتمنين زوال النعم عنهم يا دينا ؟!

- لاااا أبدا، أنت لا تفهمني، أنا لا أتمنى أن تزال نعمهم، كذلك انا ألازم ترديد عبارة ما شاء الله تبارك الرحمن كلما أرى خيرا أمامي، أتمنى لهم كل خير، وأتمنى لنفسي أن يرزقنيَ اللّٰه بما رزقهم، هذه تسمّى غِبطةَ ولا تسمى حسَدًا..

- جميلٌ يا طفلتي، أتعلمين لماذا أناديك طفلتي رغم انك شابة ؟!

- لا والله ..

- لأنني رأيت فيك براءة الصغار، وأريدك أن تحكي لي عن طفولتك كيف كانت!!، وها قد خرج والدك، سنأخذ راحتنا الآن في الكلام..

امتزجت سعادة دينا بحزن وغصة، حقيقةً، لقد اسعدها اطراء دكتورها النفسي عن براءتها، كما أسعدها خروج والدها على ما يبدوا، لكن كيف ستحكي له عن تلك الطفولة المُرّة هي لا تحتاج لذكرى تنغّص عليها إرادتها في العلاج، كيف ستُخبره بتلك الندبات التي أخدت مأخدها على سطح قلبها الرقيق، أو كيف ستحكي له على قساوة تلك الأيام؟، أسَتحكي له عن دموعها أم عن خوفها أم ستحكي له عن حرمانها، فابتسمت دينا بلطفٍ، ثم قالت هل من الممكن تغيير سؤالك هذا؟!

أخبرها عابد بعد ما رأى الحزن ظاهرًا على ملامح وجهِها، وبعد أن سَمِع تغير نبرتها، أن هذا السؤال كان من الأسئلة الهامة في مرحلة العلاج، لكنه يتأسف إن كان قد تسبب في فتح جراحها، ثم استطرد قائلا :

- سنعالج هذا السؤال في جلسة قادمة، قبل أن ننهي حصة اليوم من العلاج يا دينا، سأُعلِّمك تمرينًا جميلًا.

قالت (بنفس نبرة الحزن): أنا جاهزة.

- لا تخلوا بيوت هذه الايام من المرايا، وأنتِ تتمتلكين بألتأكيد مرآةً شخصيةً، ففي النهاية تظلّين انثى يا صغيرتي!

- نعم امتلك واحدة!

- عليكِ يا دينا أن تتبعي هذه الخطوات التي سأقدمها لك، ولا تنسي تنفيذها، فهي اشبه بالأدوية الطبية، تتناولينها صباحا ومساءا..

فضحكت دينا من كلام عابد ثم قالت بكل عفوية:

- كم مرآةً تريدني أن أتناول كل يوم ؟ ههه.

ضحك عابد وسُعد بابتسامته، كان يتأمل تفاصيل وجهها، شعرها الكستنائي، عينيها البنيتين، إبتسامتها العفوية، لا يعلم عابد بالتحديد لماذا يتأمل هذه الملامح؟، ألأنها مريضته، أو لَرُبَما لأنها فتاة عفوية وبريئة، فاللّطافة تأسر قلوب الأشداء وتُلينها .

- كفاكِ ضحكًا، سنضحك كثيرا عندما تشفين يا طفلتي.

فتغيرت ملامح دينا من الضحك الى الجدية، فهي عازمة كثيرًا على التغيير فعلًا.

عليكِ يا دينا أن تجلسي أمام مرآتك جلسة منتصرٍ عائدٍ من حروب الدنيا، فائزٌ فيها، عليكِ أن تعلمي أولًا، أن اللّه سيجبر قلبكِ، واعلمي أنه أحسن خَلقَكِ ، وأنكِ عابرة عبور السحاب في هدأة الليل، حدِّقي جيدا في مرآتك الخاصة، عليكِ أن تسترجعي كل مميزاتك، كلّ إنجازٍ وكل نجاح، أحصي النعم والأرزاق، ثم انظري بكل ثبات نحو عينيكِ البنيتين، هل ترين ما أجملهما!، هي تحمل طيبة الكون، أنظري لجميل صفاتك وخصالك وتصالحي معهم، احترمي ذاتك، إن لم تحترمي نفسك وتصنعي مجدك بيديك، لن يحترمك أحد، لهذا قفِي أمام المرآة بكامل استقامتك، ورددي على مسامعك مجموعةً من التوكيداتِ الإيجابيةِ بصوتٍ مسموع، قولي مثلا: أنا سأنجح، سأحقق ما أتمناه، سأكون قوية، سأجمع قوتي من قوة خالق الكون والناس أجمعين، تذكري توفيقه لك ونجاحك بفضله، وقولي بكل ثقة أنا فخوةٌ بنفسي ومدركةٌ لمواهبي وقدراتي..

ستكون أيامك القادمة أجمل يا طفلتي، لأنك ستعملين على جعلها هكذا، داومي فعل هذا لمدة أسبوع صباحا مساءا، وسيكون لنا موضوعٌ آخر يا دينا في الجلسة القادمة، وستكون يوم الاثنين بإذن الله

- حاضر، شكرا يا دكتور..

- هذا واجبي..

عُدت للبيت مع أبي، أفكر في كل ما قاله لي الطبيب، كم أنا مستعجلة، لأقف أمام مِرآتي، وأخاطب نفسي، سأرى نفسي هذه المرّة، كأنني قابلت غائبًا طال غيابه، مُسافرًا طالت غربته، سأنظر بعينيَّ الواسعتين، لأرى دينا، ولكني سأراها هذه المرة، كما لم أراها سابقًا، لن يكون نظري إليها، كي أضع كحلًا لعيني، ولا كي أضع أحمر الشّفاه، ولن أقوم حتى بتصفيف شعريَ الطويل، ستقف دينا، لتحدّق بعيني دينا، وتقول لها: لماذا لا أنجح مثلهم؟ا، لا مجال للمقارنات بعد الآن، إن أردتُ للوصول لهدفي سأصل، مهما كان الطريق طويلًا، سأتغلّب على كلّ الصّعوبات، لا أكذب عليكم إن قلت أني رأيت كل خيباتي وضعفي، ما حل بي ليس بالأمر الهيّن، لكن من قال أنّي ضعيفة..حقيقة أنا قوية استطعت أن أسند نفسي في أشد الأيام قسوة، من قال أني

لست جميلة، أنا وفوق نقاء قلبي، أمتلك ملامح عفوية، بريئة، جميلة، أنا أمتلك الخير كله، ردّدت دينا مجموعةً من العبارات، تحاول أن تتصالح مع ذاتها، تفشل بعد كل عبارة، لكنها تعيد، مصممة على تجاوز هذه الأزمة تناولت الغداء مع عائلتي بعد أن أدّيت صلاة الظهر، جميلٌ هو شعور العودة إلى الله، تشعر وكأنك تشكّل الكون مثل قطعة صلصالٍ، تتشكّل طائعةً بين يديك، تشعر وكأن نورًا يكسوك ليضيء عتمتك، هذه العتمة التي لا يُزيحها ضوء شمسٍ ولا يُبددها اكتمال القمر، أو كأنك ملكت السلام بذاته، سلامٌ بداخلك، يكفي ليوقف حربًا ضروسًا طال زمانها، جلستُ في غرفتي أدوّن بعض الجمل التحفيزية، فلن تكفيني مقأبلة المرآة، أستطيع أن أحدّث نفسي، فأنا دينا، دينا الجميلة، دينا الكاتبة المبدعة، التي تعلم بموهبتها معلّمتها فقط، كم من القصائد كتبتِ يا دينا لحبيبك، أعلم أنه حبيبٌ افتراضيّ، لكنّه سيكون موجودًا ذات يوم، ثم إن لي شعوراً في هذه الساعة يخالف ما إنتابني سابقا، إشتقت لسجادتي، اشتقتُ لأن أصلي من جديد، أعدتُ الوضوء مرّاتٌ ومرّات، ثم وقفت على سجّادتي، وخررت ساجدة أكلمُ خالقي، هل تعلم يا إلاهي أنني نادمة ومتحسرةٌ، أنت تعلم أنني ندمت عن محاولة انتحاري، لكن أكثر ما

يجعلني أتحسر هو بعدي عنك، ليتني عرفت هذه الطمأنينة سابقًا، لَمَا كنت ابتعدت عنك يومًا، إن كانت الصلاة وحدها، تطفئ لهيب مئة عامٍ ، فكيف يكون القرب منك يا الله؟!، اللهم أنت تسمعني، فأنت قريبٌ، تراقب ضعفي وقلة حيلتي، فأعِنّي يا خالقي على هذه المحن، أعِنّي فأنا أَمَتُكَ الضعيفة، كم أنا سعيدةٌ يا رب، فلو لم تكن تحبّني يا إلهي، لنجَحت محاولتي، ولقيتك يا رب عاصية، فلك الحمد يا كريم، ثم ختمت صلاتي بالصلاة على سيّدنا محمد، وبدأت أسبّح ربي. قطع تسبيحي طرق على الباب، فاتجهت نحوه، ربما تكون أختي ريمة، ففتحت الباب وتسمرت!! هي ليست ريمة!

- أنتِ؟! لا أصدق!

- من غيري، ههه..

- لم أتوقع مجيئك ، حقا مفاجأة!

- أظن أني أزعجتك بزيارتي، آسفة الحمدلله أنك بخير..

- لا، لا.. ميليسا، سعدت بمجيئك، فلتدخلي، لن نبقى عند الباب..

- شكرا

الأم: من على الباب يا دينا؟! من الطارق؟!

- لا أحد يا أمي إنها صديقتي ميليسا.

الأم: يا أهلا بغربيّة الاسمِ والشّكل والطِباع، أهلًا بك يا بنتي، لقد زارتنا البركة، تفضلي.

ألقت ميليسا التحية على العائلة، وتوجهت مع دينا نحو الغرفة، عمّ الصمت للحظات، لتبادر دينا: هل تشربين قهوةً أم أحضر لك شيئا آخر؟

- لا تتعبي نفسك يا دينا، فأنا صائمة إن شاء اللّٰه في غير يوم، آتي وستطبخ لي خالتي سلمى "الشخشوخة العاصمية".

- تقبل اللّٰه منك، غالي والطلب رخيص، لماذا لا تتصل أمي بخالتي سلاف، كي تُعلمها أنك ستفطرين عندنا اليوم؟

- لا عليك عزيزتي، سأزوركم المرة القادمة ، أمي أيضا صائمة علي تحضير الفطور معها هذا المساء

- على راحتك ، نسعد بحضورك معنا

- دينا لماذا فعلتي ذلك الشيء؟!، لقد جننتِ بالتأكيد.. عندما غبتي عن المدرسة لمدة يومين، قلقت عليك كثيرًا، وحاولت التواصل مع

صديقاتك، لكنهم لم يهتموا، لهذا تواصلت مع جارتكم، فأخبرتني أنك حاولتِ الانتحار، صدمني هذا الفعل يا دينا، أنتِ أكثر من كنتِ ترددين، أن الانتحار حرام، أنسيتِ نصائحكِ لنا وتحفيزاتك!!، ثم استطردت قائلة: أعلم أننا كنا على خلاف طوال هذه السنين، لكن هذا لا يعني أن أترك من صادقتها يومًا بقلب صادق في وحدتها و في أصعب أيام حياتها، وإن كنت أزعجك آسفةً، لكني لن أتركك حتى أراك بخير وبنفس قوتك، تكلمي، لِم أنت صامتة؟!

- ميليسا، هل كان يؤثّر فيكم حقا كلامي فيما يخص التحفيز؟!

- نعم والله، كان كلامك كله إيجاب في إيجاب..

- لماذا لا ينجح الأمر معي إذا؟!

- لم أفهم! وضّحي أكثر!

- أنا أُعاني من مجموعةِ أفكارٍ وهلوسات، لا أستطيع التحكم فيها، أنا حبيسة اعتقادٍ مَفاده "أنا لا شيء .. أنا فاشلة"..

- مجنونةٌ حقًّا! لم أخطئ، تلميذةٌ مجتهدةٌ مثلك، تعتبر نفسها لا شيء!، نحن لم نصل لمرحلة بناء الشخصيّة بعد، كي نبني أحلامنا أو أنفسنا، أنت لم تبدئي حتى تفشلي يا دينا، لازلنا نتعلم، وإن تخلفتي

عن تعليمك في هذه المرحلة، فستفشلين أو ستجدين الصعوبة بقيّة حياتك، ونحن لا نريد هذا، أنت تصلين، أليس كذلك؟!

- لم أكن أصلي بانتظام، قالتها دينا بإحباط!، لقد بدأت الصلاة بالأمس ليس إلا؟!

- معقول!، تتركين الصلاة، وتسألين لماذا تشعرين بالضيق؟!

سيختلجُ قلبك حزنًا وضيقًا كبيرًا يا دينا كلما تخلفتي عن مسار دينك الحنيف، مِن بين ألاف العباد أنعم اللّه عليكِ وعلى عكس غيرك بالإسلام، ثم تجحدين!، يقول اللّه عز وجل: ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾، ثم يا دينا، هل نسيتِ ما كُتب في كتاب "لأنك اللّه"، لا أظن هذا، فأنتِ أشدُّ من تأثر بهذا الكتاب.

- لا، لم أنسى، حتى أنّي استنبطتُ قوتي من اسمي على طريقة الكتاب، سبحان من جعل حروف كاتب لا نعرفه سببا في هدايتنا.

- صحيح، محظوظٌ هو، بارك اللّه فيه وفي قلمه وفي حروفه، عليك أن تسترجعي ثقتك بنفسك، وأن تعودي للّه، أمرنا اللّه أن نخطوا على خطى حبيبنا رسول اللّه.

- نريد يا دينا أن نتعاهد أمام الله بعهدين.

- عهدان!، مأ هما؟

- عهدٌ نعمل به في الأرض، والآخر، نُقوم به في السّماء، سنتعاهد في الأول، بأن لا نفترِق مهما اختلفنا

- أعاهدك على ذلك، وما الثاني؟

- الثاني: أن تمسكي يدي وندخل الجنة سويًّا

- أسأل الله لك الجنة، أما أنا، فلا أعتقد أن أكون من سكانها

- سأُحطم رأسك أيتها الغبية ستصلحين ذنبك، وسأكون عونك، أعدك..

- ههه، لا أشك في هذا فأنت رفيقة دربي ...

- اذن عليكِ أن تسترجعي قوتك، أسفة يا دينا سأتركك اليوم على مضض، لكنّي سأعود قريبا..

- باكرا، لكن لا عليكِ عُذرك اليوم أنكِ صائمة ..

***

استيقظت صباحا، اليوم سأعود لثانويتي عَليّ أن أكمل تعليمي، الشخصُ المتعلم له فرص أكبر في النجاح ، ارتديت ملابسي

وخرجت.. طول الطريق وأنا أخمن في المنافقات اللّاتي صاحبتهن وأمنتهن وقسمت معهن أفراحهم وأقراحهم، لكن عندما اشتدت بيّ الحياة لا أجدهم، أين هم؟!

اذا ما التقيت بهم، ماذا سأقول لهم، ههه ما الداعي من الكلام وجب عليّ قطعهم، وجب بثرهم .. وصلت لثانويتي ودخلت من بابها الواسع كنت أتجول بين الاقسام حتى لمحتهم في أحد الممرات يتنمرن وبكل سخرية على إحدى الفتيات ، فور رؤيتهم لي هرولوا لي..

- أهلا دينا، اشتقنا لك، أحقيقي حاولتي الانتحار؟!، هل هو مؤلم! ما اسم الدواء!. اسئلة تجرعتها لمرة واحدة في نفس الدقيقة، لا أكذب ان قلت لم أعد اطيقهم.. الأمر أشبه بالتعامل مع الشياطين "منافقات حسبن ضعفي غباء"، بكل برودة، أجبتهم قائلة:

- أنا بخير شكراً لسؤالكم المتواصل اهتمامكم الغير مشروط، وزياراتكم التي لا أتذكر عددها من كثرتها، شكرا لكم..

لعل هذه الجمل البسيطة قد حملت لهم الرسالة التي أردتها أن تصل لهم، عجيب صمتهم هذا والمضحك المبكي هي حيرتهم واندهاشهم، لم يعهدوا ردودي الجريئة، كثيرا ما كنت أُنقحُ كلماتي

وأحسب لها ألف حساب، فلربما جرحت قلبَ أحدهم وأنا لا أعلم، لقد عاملت الغير بما أردت أن أُعامل.. لكن هيهات، غرست وردا وجنيت شوكا، والأجدر لو كنت جنيت من الشوك وردا.. لا علينا نحن نتعلم! غريب أن يتعلمن الغدر بهذا السن الصغير.. ألم تلمسهم البراءة يوما! في صمت عميق كنت أراقب توجسهم ونظراتهم ثم مضيت، نعم مضيت نحو تلك التي كانت موضوع تنمرهم بادلتني السلام عرفتها عن نفسي أخدنا نتبادل أطراف الحديث عن الدراسة والجامعة ومغامراتنا وحتى ألامنا فتحنا صفحات الذكريات نتأمل صفحة ونطوي الأخرى سأصفها لكم، اسمها لجين تدرس في الصف الاول من المرحلة الثانوية، والديها مطلقان، انفصلا وانقسما وانقسم قلبُ لجين معهما.. فتاة هشة أكثر مني لهذا حدثتها مطولاً عن سننِ الحياة، عن ما يسمى بالقضاء والقدر نحن لا نختار الساعة التي نلد فيها ولا نختار والدينا ولا حتى الساعة التي نموت فيها نحن مُسيّرون حسب ميقاثٍ معلوم لا نحيط به خُبراً اخبرتها عن سنن الحياة، عن من مات والديه ومن عاش يعتبره الناس ابنِ زنا، ومن كان ابن مطلقين وهناك من عاش وسط والديه ولم يشعر بهما من جفائهم وكلٌ ذاق الحرمان حسب ما قُدِر له، ولكن أيكون هذا الأمرُ عبثاً،

أتظن أن الله اختارك من بين ألاف الأشخاص يا لجين كي تكوني ابنة شرعية لمطلقين بدون سببٍ، لا أظن هو اختبار لنا.

لا أعلم بالضبط أواسيتها أَمْ واسيتُ نفسي لكن ما لاحظته على وجهها هو تعابيرٌ مبهمة وإن دلّت على شيء كانت لتدلّ على عدم اقتناعها ،ولربما قالت في نفسها وما الذي سيتغير!

أنا الأخرى وإن تظاهرت بالقوة فأنا أعلم جيدا كم هو صعب الصراع مع نفسك، صعب أن تحاول اصلاح ما تلف أو ما تفتت بمحاولات يائسة وبائسة، صعبٌ أن تنكرَ الضعف وأنت بأمس الحاجة لقول أنا متعب بكلِ صدق، أنا مثقل، هش، ضائع ولا أعتبر الإحتواءَ هذه المرة كافياً، فاحتوائهم وان كان صادقا إلا أنه لا يصل لمرحلة الكفاءة لأنهم ببساطة لا يشعرون بتلك العواصف التي تضرب كيانك، لا يشعر بك إلا من عفس على نفس الجمرة التي تكويك، يرى الغير انعزالك على أنه جدار أصم أما هم فيرون محاولتك الركيكة في اخفاء شتاتك بغلاف شفاف، على نفس الخُطى أحاول أن أَظهر بمنظورِ القوة، أن أُظهر غروراً على أنه حبٌ للأنا، أن أقدس كل تفاصيلي التي تحيط بي.. لكن في خلوتي وأمام مرآتي لا أرى إلا كومة من الأفكار

المبعثرة، خيبات، جلد للذات، أرى كهكهاتَ سخرية عن حالي، أنا وإن رأيت لساعة القوة والأمل تحاصرني هواجسي لساعات، اذا كنت بين عائلتي المحبة هكذا بهذا الانكسار كيف ستكون لجين! أستجديك يا إلاهي ألا يوجد خلاص من هذا الضعف، أستجديك باكية أن انقذنا، عدت لبيتي، مرت تلك الساعات ولا يشغل بالي سوى لجين نمت واستيقظت على موعد جلستي الثانية، متلهفة لمقابلة عابد لم يكن السبب اكمال مرحلة علاجي إنما لأحكي له عن لجين..

***

قابلني عابد ووليد هذه المرة، ضحكت قائلة: منقذي ومن سينتشلني من الإكتئاب يجلسان حول كوب قهوة أهذا بخلٌ أم ماذا؟، على الأقل كوبان ضحك وليد وقال:

- أنا لا أحبذ القهوة يا صغيرتي عابد من يعشقها يرتشفها وكأنه يرتشف إكسير الحياة، قاطعه عابد وهو لا يعلم إن كانت مقاطعته غيرة أم مجرد مزاح.

- توقف، توقف دينا لم تعد مريضتك لهذا لا تقل عنها صغيرتك، انا من أحمل هذا الترخيص الآن، أليس كذلك يا صغيرتي المبدعة والجميلة.

امتلأ المكان بضحكات دينا ..

- هيا يا وليد جلسة العلاج مع دينا قد بدأت ولا نود كشف أسرار مريضتنا..

- حاضر، ولو أنك بهذا قد طردتني لكن لا بأس كله يهون من أجل صغيرتنا..

جلست دينا وتوقفت ضحكاتها، هدوئها بعثر أفكار عابد، لقد كان يتوق لرؤيتها، لا يعلم ما شده فيها كن حضورها وحده يطغى على عقله.. طول تلك المدة وهي لا تتعدى الأسبوع لم تذهب دينا عن باله رفع كثيرا سماعة الهاتف يود الاتصال بسبب الاطمئنان عليها لكنه خجل، هو طبيبها وعليه أن يحترم هذا الإطار.

- كيف حالك يا دينا! هل أحرزتي تقدما! أراكِ ساكنة؛

- لقد انتظرت هذه الجلسة كثيرا، أردت إخبارك بكل ما حدث معي هذا الأسبوع، لقد عدت للثانوية قابلت من قلت عنهم صديقاتي، لقد وضعت حداً لهم وأعتزلتهم، والسبب أنني أشعلت أصابعي شمعا لهم ونسيت أنني سأنطفئ وحدي بين دياجير الليل، لكن ما شدني أنني عرفت احدى ضحاياهم الجديدة أردت أن اتعرف عليها وربما نصحها بتفاديهم لكن من خلال محادثي معها رأيت كمّ الأحزان التي تحيط بها، أتعلم مارست التمرين لعدة أيام لكن فور رؤيتي لها انقلب كل شيء رثني حالها، أرى ضعفي في ملامحها.. وينعكس هذا على مرآتي..

- أولا أحسنتي تفادي صحبة سوء يا صغيرتي، ثانيا يا دينا أنت لن تستطيعي انتشالها وحدك لو كان الأمر هيّن لاستطعتي أن تخرجي من غمغمة الهواجس وحدك مع هذا انت تقابلينني الآن، كذلك كنت قد حدثتكِ سابقاً أن لنا في الجلسة القادمة موضوعٌ مهم سنناقشه يبدوا أنه في وقته المحدد..

هل تسمعين بمصطلح "العلاقات السامة"

- لا، لم أسمع عنه سابقا..

- كل شخص يؤثر عليك بالسلب هو شخصية سامة، الشخصيات السامة هي أبشع الشخصيات التي من الممكن أن نقابلها في حياتنا،

إن الأشخاص الذين يمتلكون طيبة قلبك تكون سعادتهم قد ربطت بأوصال سعادة الاخرين في المقابل الأشخاص السلبية أو السامة تتغذى على حزنك وتعبك تحب أن تراكم مستنزفين، لا يبحثون عن فرحكم.. سواء كان بقصدهم أو بدون قصد، يزرعون بكم نسباً من التشاؤم والشكوى والسخط ويعلمون أنكم أكثر الناسِ تأثراً بكلامهم.. لهذا وُجب عليك أن تقطعي علاقاتك مع كل شخص يجعلكِ تشعرين بالحزن والاحباط.. بالنسبة للجين هي شخصية سلبية أحاطت نفسها بهالة من اليأس والأسى والتحسر وهو ما كان يحيطُ بكِ يا دينا سابقا، الآن أنت تخلعين ثوب السلبية وتحاولين ارتداء جلباب القوة، هذه القوة يجب أن تبدأ يا دينا بقاعدة صحيحة ومتينة كي لا ينعكس الأمر عليكِ في وقتٍ لاحق، البدايات الركيكة لا تكتمل.. لهذا لا تنسي أنك في مرحلة اعادة تهيئة لشخصكِ المبعثرةَ وأنتِ في أكثر المراحل هشاشة، صُحبتك مع شخصية يُحيط بها الضعف من كل جهة لن يجعلك تتقدمين، ستُأسرين في نفس الساعة ونفس المكان وإن كان تأثير صديقاتك السابقات مقصودا قد أثر فيك، سيكون تأثير هذه الفتاة أشدّ فتكا.. لهذا وجب التعامل معها بكل حذر وعلى أن تكون بينكم مسافة أمان تمنعك من التأثر بها..قدمي لهذه الفتاة نصيحة بزيارة

اخصائي وإن قبلت سأشرف على علاجها هي الأخرى، لكن عليك أن تعلمي جيدا كيف تختارين مصدر ومنبع قوتك الأصلي ..

وعليك ان تتعلمي يا صغيرتي كيف تسيطرين على مشاعرك ..

- لكن، هي فتاة طيبة، هذا الصراع الذي نواجهه ليس من الممكن مواجهته بكل سهولة، تندفع مشاعر الحزن وتتوغل بكل هدوء فترغمنا على قول أن جُلَّ محاولات التلملم لا تنفع، ولا يوجد وصف يحاكيها غير أنها محاولات عقيمة.

- ها أنا أرى هذا التأثير الذي لحق بك جيدا، في أول جلساتنا كنت مصممة على التغيير واليوم تسلكين مسلكا مغاير لهدفك، هل أنت جاهزة للفشل من جديد؟

- لا أريد هذا، لكن ماذا لو كان الفشل نهاية محتومة، ماذا لو أن حزننا ليس بحزن وانما هو سعادة ناقصة!

- لم يكن اليوم يأسنا وفشلنا نهاية محتومة ولا أظن أن شخصا بمواصفتك يتأمل في آيات الله كثيرا لا يعلم بأن الله أمرنا ان نبتعد عن اليأس و أن بقربه وبقرب آياته حياة هنية .. ثم وإن كان حزننا مجرد سعادة منقوصة ألا يجدر بنا أن نتقبل النقص ونرضى بما حضر وهو أجمل من اللاشيء والعدم ..

- صحيح، لكن ما أقوله أنا هو أن هذه الخيبات والخدلان المتواصل كان يترسخ في أعماقنا لدرجة أنه أخذ حيزا كبيرا فينا، وحتى محاولة الهروب منه لا تجدي نفعا ..

- من المعقول محاولة الهرب لا تجدي نفعا، لكن المواجهة هي أكثر الأساليب نجاعة، أن تواجهي مخاوفك ووتتقبلي نقائصك، كلنا لدينا نقائص وإعاقات وتشوهات وإن لم تكن جسدية فهي عقلية وإن لم تكن في كليهما فهي تمس بصيرتنا. وما أشد قساوة بعمى البصيرة، لنخشى توقف الله عن هدايتنا وانارة بصيرتنا ..

انتِ لولا فضل الله عليك لما انقذك من موت محقق ولكنتِ قد قابلته بالمعصية التي ستكون سبب في خلدك في نار جهنم.. كان ليراك بعين غضب وما أسوء هذا ... لكن فضل الله عليك أن حماكي من تأثير الأدوية و فوقها أنار بصيرتك فأردتي الرجوع لخالقك والتقرب منه وهذا من أجمل أفضال الله ، أن يجعل من ضعفنا قوة وسببا للتقرب منه يعلمنا أن الابتعاد عن حضرته مؤذي وأن لا شخص في الحياة يستطيع أن يشعر بتلك التراكمات التي تنهش قلوبنا ..

لهذا وجب عليك يا دينا أن تبتعدي في الوقت الحالي عن الصداقات واقتربي أكثر من الجبار الذي سيجبر كسرك ويسكن ألامك ويهدأ من لوعة الحريق ، أانت جاهزة من جديد؟!

- نعم، سأعمل بهذا..

- اذن، لديّ طلبان، الطلب الأول عليك أن تكتبيه الآن على هذه الورقة والمطلوب منك هو تقسيم الورقة لنصفين النصف التحتي تكتبين عليه مخاوفك ، والنقائص التي لا تتقبلينها .. والنصف العلوي تكتبين فيه أحلامك وطموحاتك وأهدافك.. والطلب الثاني عند عودتك للبيت ستكتبين في ورقة كل الذكريات التي تسيء إليك.. وتعيدي كتابتها عدة مرات .. ستبكين في أول مرة وتاني مرة وتعجزي لإعادتها في ثالث صفحة لكن في باقي الصفحات ستصبحين أكثر تقبلا.. لا تعجزي هو تمرين صعب وان بدى لكم سهلا.. ولا تتوقفي عن ممارسة تمرين المرآة وأعيديه بأسلوب صحيح تحاشي النظر للأشياء التي لا تتقبلينها ركزي في ما هو جميل ونفسك بعين الجمال ستزهرين أكيد...

تماتلث دينا للأمر بدأت الكتابة على مضض، تخجل دينا من تلك الندبات التي مست روحها الطاهرة ، لكن وجب عليها مواجهة ما ينغص عليها مرور أيامها..بدأت بالكتابة على شكل نقاط:

- لم أحب جسمي ..
- لم أحب يوما تفاصيل وجهي ..
- لا يعجبني شعري الخفيف ولا هذه الهالات التي تحيط بي ..
- لم أحب شحوب وجهي ..
- ولا تعجبني طريقة لبسي ولا الطريقة التي أمشي بها ..
- تدفعني عدم قناعتي للسعي نحو الكمال نحو المثالية ..
- لم اتقبل قدراتي ولا اجدها حتى..
- لا أطيق الهوامش لهذا اخترت عزلتي ..
- أحتقر نفسي وفي صراع دائم لأثبتها ..

- لا اشعر بوجودي اذا زاد عدد صديقاتي عن ثلاثة في المجلس الواحد..

- لا أشعر أن لي الحق في العيش معكم ..

ثم وضعت القلم وتغير لون وجهها كثيرا ..

لم يشأ عابد أن يحرجها، أخبرها أنه سيقرأها في وقت لاحق، لقد فهم ما دلت عليه ملامح وجهها فلغة الجسد وحدها رسالة اتصالية واضحة ثم أمرها عابد أن تكتب أحلامها..

اكتفت بخط جملتين الأولى كانت "أود أن أنتصر" والثانية كانت "أريد النجاح" ..

- هل ستعملين من أجلهما يا مبدعتي؟!

- أكيد، ستساعدني أنت..

خرجتُ من مكتب عابد وكانت أول وجهة لي هو بيت ميليسا، طرقت باب البيت، ماهي إلا ثواني لتطل عليّ ميليسا بملامحها الهادئة سلمت عليها ودخلت البيت، لاقيت ترحيبا حارا من ميليسا والخالة

سلاف، تركتنا الخالة لتحضير الشاي، فاستغللت الفرصة لأحكي لميليسا عن قصة لجين وما نصحني به عابد، ولعل ميليسا ترشدني هي الأخرى لرأي صحيح وما كنت لأعلم أن الخالة تسمعني.. أخبرتها أول بأول وعندما أنهيت حديثي تحسرت ميليسا وحزنت لما تعانيه لجين، فقصتها تشبه قصة لجين، ذلك لأن الخالة السلاف والعم محمود مطلقان منذ ولادة ميليسا، أما الخالة سلاف فقد اختارت البقاء وحيدة لرعاية ابنتها الوحيدة، ثم قالت:

- من المؤلم أن ترِ والدتك تنطفئ أنوارها يوما بعد يوم فقط لتراك تنجحين، من المؤلم أن لا يكون لك سند تسندين عليه رأسك، أتعلمين شيئا أنا أنتشي في حنان أمي يوميا، لكنّي لم أذق طعم حنان الأب يوما، هه ماذا عن كلام الناس الجارح لطالما لقبوني بابنة المطلقة، والمؤسف أن هناك من أصحاب المقامات من يناديني بمثل هذا الاسم، لكن لم أكن لأضعف يوما وسط مجتمع محدود التفكير يرى المطلقة على أنها عار، لم أكن لأضعف بالرغم من أنه سبب وجيه لضياع الفتيات والأولاد، فالفتيات تصبن بالشتات والضياع وحالة من الفراغ العاطفي فهي على خلاف أقرانها لم تتعاطى الحجم المتوازن من حب الوالدين لهذا تتجه في أغلب الأحيان نحو العلاقات المحرمة لتبحث عن حنان والدها في شخص يُخيل إليها أنه من سيكون راعيها ومحبها...وعلى عكس الفتيات يتجه معظم الفتيان نحو الآفات كشرب

الخمر، التعاطي والسرقة، تنهدت ثم أردفت أعان الله هذه الفتاة يا دينا، يستلزم عليها أن تتابع عند أخصائي .. كذلك مع الأسف ما قاله عابد صحيح، أنتِ لوحدك لن تستطيعِ مساعدتها..

- أتعلمين يا ميليسا كنت أظن أنني وحدي من أعاني من قساوة الأيام لكن يبدو أن لا أحد يسلم من حدة العواصف التي تمسنا واحدا تلو الآخر، أحزنني حال لجين لأجدك انت الأخرى تنزفين بجرح مشابه، آسفة جدا لإعادة أسطر كان لابد من أن تمحى..

قاطعتهم الخالة سلاف، وهي تحمل بين يديها الضيافة:

- صحيح أن خسارة الأب سواء بموته أو رحيله مؤلمة، لكن ألا يكون أفضل من العيش بين والدين لا يتوافقان في نفس المنطلقات الفكرية والعاطفية وممكن حتى الأخلاقية، ماذا لو ترعرعتم في وسط عائلي مزحم بالمشاحنات وكنتم ضحايا للعنف الجسدي والنفسي، كذلك يوجد من عانى الجفاء من والديه رغم قربهم إليه فتكون الاضطرابات هنا و على اختلافها نتاجا للعقد التي تتشكل في نفسية الطفل منذ نعومة أظافره..

- صحيح يا خالة، إن المتحكم الأول في الاضطرابات النفسية والسلوكية للطفل تنتج من تعامل الأسرة وقد لا يظهر هذا في المنحنى الأول من مراحل حياة الطفل إلا أنه ينعكس حتما على مرحلة مراهقته..

- ميليسا: لا بأس قد لا يكون لهم أبوين أو أنهم خسروا أحدهم ولربما عاشوا معهم بحضور الجسد دون اهتمام، لكن لا ينكر اثنان أن الله سيحميهم..

- أحسنت القول يا ابنتي نحن جميعنا باختلاف ألواننا وأجسادنا وعرائقنا بين أعين خالقنا، لا يمسنا اذى إلا وكان كفارة لنا عن ذنوبنا فالحمدلله..

ثم فجعت دينا باتصال من أبيها، أخبرها انه يحتاجها في البيت وعليها العودة استأذنت منهم الرحيل وهمت بالوقوف، لكن ميليسا طلبت منها الانتظار لدقيقتين وكان ذلك، لتفاجئني بهدية مغلفة أخبرتني أنها نَوَت زيارتي اليوم لتقديم هذه الهدية لكنها سعدت بزيارتي، أجبتها أنه لم يكن هناك داع من هذه الهدايا قربها مني ودعمها وحده يكفيني لكنني سعدت كثيرا بالهدية..

عدت للبيت قمت بطبع قبلة على جبين أبي ويديه وحضنت أمي بكل حب، لقد أنعم الله عليّ بحنان الوالدين، شكرااا لله..

فاجئني أبي أيضا بقوله:

- انظري يا سلمى لسنا نحن فقط من سنقدم الهدايا لدينا، يوجد من سبقنا وهو ينظر للعلبة التي بيدي ..

- من الذي قدم لك الهدية يا دينا، أهو دكتورك؟!

- لا يا أمي الهدية قدمتها لي ميليسا لقد مررت ببيتهم وقد اخبرت أبي عن ذلك عندما اتصل بي، ثم ما موضوع الهدايا اهناك مناسبة؟!

رد الأب: لا يوجد مناسبة ممكن مجرد مصادفة ، دخل أبي ليحضر لي الهدية، فيما شرعت في فتح علبة ميليسا لأجد طقما للصلاة، مع مصحف برواية ورش، سعدت جدا بهديتها، ليفاجئني أبي بمجموعة من الكتب التحفيزية، ثم قال:

- صحيح أني لم أكمل دراستي ولا افقه شيئا في الدراسة لكن هناك من نصحني بهذه الكتب لهذا اقتنيتها ، حضنت أبي وأمي في حضن واحد ولو أن يدي الصغيرتين لم تسعهما الاثنين، لتفاجئني أختي ريمة هي الأخرى بعطري المفضل برائحة الغاردينيا، يا لفرحتي من مثلي .. لقد كان لهذه المفاجئات أثر ايجابي على نفسيتي ، قررت أن أصلي بطقمي الجديد سجدتين شكر لفضل الله أن أنعم علي بعائلة دافئة وصديقة طيبة.

***

توالت الأيام والأسابيع وأنا مداومة لصلاتي وشرعت في حفظ سورة البقرة مع رفيقة العمر ميليسا وأختي الصغرى ريمة، كذلك تطورت حالتي النفسية جدا بفضل جلسات العلاج عند الدكتور عابد ، نجحت في جميع اختباراته، أخبرني يوما أن ملامحي تزهر، معه حق قد تقبلت كل عيوبي بعد عناء وصراع طويل لم يكن الأمر سهلا ولكن الله لم يتركنِ، أما الفضل الآخر كان لعائلتي ودكتوري وصديقتي ميليسا لولاهم ما نجحت في أمر.. والفضل لي أيضا أنني أسندت نفسي وأنا بذلك الانكسار، لقد كنت ورفقة ميليسا نحيط بلجين نمدها بالإيجابية، حاولنا كثيرا إقناعها بزيارة الطبيب النفسي لكنها لم تستجب..

اقترحتُ على ميليسا أن ترافقني لنشتري للجين كتاب لأنك الله لعله يكون الهادي لها، اقتنيناه وتوجهنا نحو بيتها.. لم ندرك ما يحدث فقد لمحنا وجود جنازة في بيتها، تملكتنا الحيرة وسألنا أحد الحضور الواقف أمام البيت، من مات! من توفي! لا ننكر أن كلامه قد صفعنا..

- لقد انتحرت لجين، ماتت لجين.. رحمها الله.

نحن لم نصدق الخبر، لقد وعدتنا بالصمود.. وعدتنا أنها ستتحمل وتواجه وتنتصر، أهذا هو انتصارها؟! اغرورقت الأعين بالدموع ،ولا استطعنا الوقوف، ولا استطاعت اقدامنا حملنا، الصدمة اشعلت قلوبنا.. كنا نبكي بشدة لم نتوقع رحيلها بهذا الأسلوب الجبان والمحرم، نسأل الله لها المغفرة ..

لتلمح أعيننا انا وميليسا والدا لجين رحمها الله يبكيان بحرقة على فقيدتهم، إنهارت ميليسا من هول المنظر ثم وقفت بكل سخط قائلة:

نحن لا نعترض على حكم الله، لكنكم السبب الآن انتبهتم للجين، الآن استفقتم لوجود ابنة تجمعكم، بعد ماذا بعد ان ماتت، عجيب أمركم تتزوجان لإرضاء التقاليد والمجتمع وتنجبان فتاة فتقررا الطلاق.. عجيب امرك أيها السيد، هل انت مسلم كيف تطلق امرأة بسبب انجابها لفتاة؟! ما أقبح اعتراضك على رزق الله الذي أمرنا برعاية واحترام النسوة لكنك جحدت.. وأنتِ لقد كنت أمها اذا تركها الأب كيف تتركينها أنت أين الأمومة فيكِ، بدل أن تكونوا سعادتها كنتم السبب في انتحارها سامحكم الله..

أدهشهم كلام ميليسا وعلامات الحسرة طغت على كيانهم، لا فائدة من الندم الآن.. أما أنا فقد تهت أردت تكليم لجين، لأعرف حجتها وأي حجة واهية.. أصبت بالجنون، أين صديقتي، لا أجدها، لا أرى ابتسامتها، ولا أشم عطرها، أين هي!

لازمنا حضور الجنازة مع عائلاتنا، أبحث في الحضور عنها لعلها كذبة، هيهات، كل من قدم واجب العزاء طغى عليه الحزن والأسى، لقد كانت طيبة لم تؤذ أحدا، أضرت نفسها فقط.. مؤسف هذا خسرناها، ليتها صبرت وجاهدت.. رغم انني نجحت في كل اختبارات عابد إلا أنني لم أنجح في الابتعاد عنها..

بعد مرور أيام على موتها، وكانت تمر وكأنها سكين حافٍ على قلوبنا فتحت حسابي على الفايسبوك في حاسوبي لم يشدني سوى رسالة قديمة من لجين كان مضمونها كالتالي:

"اسفة يا دينا، خدلتك لم أكن بنفس قوتك، ولم أمتلك دعم عائلتك، ولكنني سعدت برفقتك، لقد كنت الشخص الذي آنس وحدتي في أخر أيامي وددت يا دينا البقاء، لكن سأكون بخير هناك في ذلك

القبر بين التربة الباردة التي ستطفئ هذا الحريق بداخلي، وداعا يا دينا لكن عديني أن تحققي حلمك في الكتابة، اجعليها حروفا محفزة لكل يائس، لم تستطيعي انقاذي صحيح والعلة فيّ ليست فيك، لكن أعلم جيدا أنك ستنقذين الكثير.. لكل جدار يائس فتحة من نور، كوني الأمل الذي يتوغل من هذه الفتحة لا تستسلمي.. لا تحزني.."

قرات الرسالة وأنا اجهش بالبكاء قلبي الصغير يدهس ويكسر بعد كل كلمة، أه أيتها الجبانة لو أنك صمدتي قليلا واقتربت من الله.. رحمك الله طفلتي.. ليتني لم ألتقيك هل ستكونين العثرة التي تسقطني من جديد يا لجين، لما يا أختي.. أخبرتك يا لجين أنني سندك لما رحلتي وتركتني وحدي..

عزمت أن أكتب أول رواية لي تحمل اسم "انتحرت لجين" من المؤلم أن تبكي مع كل سطر تتذكر فيه لجين وخصالها، ضعفها وشتاتها.. وفقني الله بعد أشهر أن أنهي ما بدأت، علم أب لجين بقصة روايتي فقرر تحمل مصاريف طبع الرواية لعلها تكون درسا لكل أبوين تفارقا وتركا ورائهما ضحية.. كما أنه أعاد زوجته لبيت الزوجية وقد تبنيا طفلة صغيرة اسموها لجين لعلها تطفى لوعة فقد ابنتهم..

هه مؤسف، كيف ستشعر لجين عندما تعلم بهذا الخبر.. ستحزن قطعة السكر، ستشعر أنها السبب في افتراق والديها وبعد موتها زال هذا السبب وعادت الحياة لمجراها..

نشرت الرواية وكلي جروح، لأعلم لما نشرتها ربما طلبها في تحقيق حلمي، ليتني تعلمين كم هو مؤلم هذا الحلم، عند انتشار الرواية لاقت رواجا كبيرا وكثر الطلب عليها وكان ذلك اول نجاح لي لكن طعمه مر، أي نجاح وموضوعه انتحار صديقتي، لهذا وجهت أرباح الكتاب لبناء مسجد، صدقة على روح قطعة السكر لجين، عندما علم قرائي اعن قصة الرواية حقيقية مدوا لي يد العون، فوجئت في أحد الأيام بوصول طرد من دار النشر مكتوب عليه من مطالعي روايتك رحم الله فقيدتنا وألهمكم جميل الصبر، أما بعد في الطرد خمسون مصحفا موجود في كل مصحف ورقة مكتوب عليها أدعوا بالمغفرة لأختنا لجين.. ما هذا التعاطف، حقا المسلم أخو المسلم، تسلمت الطرد ووزعته على مجموعة من مساجد الحي مع أبي، وأنا بصدد ارسال منشور لأشكر فيه كل من تضامن معي انا وعائلة لجين، أخبرني امام أحد المساجد محظوظة هي صديقتك رحمها الله، وضعتي

لها صدقة جارية بإذن الله تحميها، انهارت قواي وددت لو أنها جنبي أحضنها، لكن..

مرت الأيام واجتزت امتحان البكالوريا نجحت بتقدير جيد، وجهت نحو الجامعة، كل من علم بنجاحي فرح لي وأرسل لي التهاني إلا شخص واحد كنت أبحث عنه بين الرسائل ولا أعلم لِما! إنه دكتوري..

ليفاجئني دخول أمي، اخبرتني أن هناك من تقدم لخطبتي امتزج الخجل مع الحيرة في داخلي تساءلت هل اعرفه! ليجيبني صوت أبي من الخلف يا ابنتي لقد تقدم لخطبتك دكتورك عابد فهل توافقين؟!

- في رأيكم هل كانت لتوافق دينا على طلب الزواج من عابد!!

النهاية